

اسْبَابُ التَّغْيِيبِ لِفَضَائِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَدِيثُ الْغَدِيرِ أُنْمُودَ جَبَّأً

الشيخ رسول كاظم عبد السادة^(١)

المقدمة

ابتلي التراث الإسلامي بأفات عديدة، لعل من أبرزها ظاهرة تغيب فضائل أهل بيت النبوة ومحاولة إخفائها؛ ليُغلق الطريق أمام انتقالها إلى الأجيال اللاحقة، على الرغم من كونها كرامات خصَّهم الله بها. ولم يُستثنَ الإمام أمير المؤمنين من تلك الظاهرة، حيث تعرَّضت فضائله لهجمة شرسة تطوَّع فيها بعض المخالفين وبأساليب متعدّدة؛ للحدِّ منها، مع أنّها ملأت الخافقين.

نسلطُّ الأضواء في هذا المقال على الأساليب التي استخدمت في إخفاء فضائل الإمام علي عليه السلام متّخذين من حديث الغدير أنموذجاً، وقد اخترنا هذا الحديث لشهرته وكثرة الحضور عند إبلاغ النبي صلى الله عليه وآله به، ومع ذلك تجرّأ بعض المؤرّخين والمحدّثين على إخفائه وتغييبه - كحدث وحديث - ومنه يُعرف مدى خطورة مسلك أولئك المؤرّخين وقدرتهم على التلاعب بالتاريخ مهما كانت وقائعه واضحة.

(١) باحث وكاتب إسلامي.

وفيا يلي نستعرض تلك الأساليب التي استخدمت في هذا المجال:

الأسلوب الأول: تغييب الحديث من حيث المكان

إنّ المكان يلعب دوراً مهماً في فهم كثير من الحوادث التاريخية، وقد يقترن الحدث بمكان ما بحيث ينتقل الذهن إلى المكان بمجرد ذكر الحادثة، فإذا غيَّب المكان وأُلغِيَ من الرقعة الجغرافية نهائياً فسيحيط بتلك الحادثة غموض، وهذا ما حدث لواقعة غدِير (خم)^(١)، حيثُ حاولت الدول المتعاقبة في منطقة الحجاز إخفاء هذه المنطقة وربط الغدير بميقات الجحفة ليشتهه على مَنْ يريد الوصول إليه والصلاة في مسجده من الشيعة^(٢)، وهذا ما جعل (أدارة مراکش) يهتمون به بشكل خاص منذ سنة (١٧٢هـ) إلى سنة (٣١٠هـ) لعمارة وبناء الجحفة، الذي حفظ ذكرى الغدير في مسير العودة من حجة الوداع، بدليل الاهتمام بسفر الحجاج المصريين والمغاربة. ويجب أن لا ننسى أنّ منطقة الحرمين - مكة والمدينة - كانت جزءاً لا يتجزأ من حكومة مصر،

(١) إنّ ظاهرة إلغاء الفضائل المرتبطة بالأماكن كانت ديدن المؤرخين، حيث عمدوا إلى تغيير أسماء الأماكن التي تشير أسماؤها إلى فضائل أهل البيت عليهم السلام وهو الذي حدث لباب الثعبان - مثلاً - أحد أبواب مسجد الكوفة، والذي سُمِّي بذلك لظهور الجنيّ بهيأة ثعبان وتكلّمه مع أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ تمّ إلغاء تلك الفضيلة وذلك بجلب فيل وربطه قرب الباب لصرف أذهان الناس والمؤرخين فيما بعد من الثعبان إلى الفيل. أنظر: الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، منهاج الكرامة: ص ١٧٣. وكذلك الذي يقوم به أتباع المذهب الوهابي من هدم المراقد المقدّسة والمساجد الشريفة المنسوبة للنبي صلى الله عليه وآله، محاولة منهم لإزالة الآثار الموصلة للارتباط بالنبي صلى الله عليه وآله، وقد اتّبَعوا بذلك سنة عمر بن الخطاب حين قطع الشجرة التي تحتها بايع المسلمون النبي صلى الله عليه وآله ببيعة الرضوان لما شاهد الناس يتبرّكون بالصلاة عندها، ففي الدر المنثور: «أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، عن نافع، قال: بلغ عمر بن الخطاب.. أنّ ناساً يأتون الشجرة التي بويع تحتها، فأمر بها فقُطعت». السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور: ج ٦، ص ٧٣.

(٢) في الوسائل بإسناده، عن حسان الجمال: قال: حملت أبا عبد الله الصادق عليه السلام من المدينة إلى مكة، قال: فلمّا انتهينا إلى مسجد الغدير نظر إلى ميسرة المسجد فقال: «ذاك موضع قدم رسول الله صلى الله عليه وآله» حيث قال: مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه». الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٥، ص ٢٨٦.

وقد انضمت بعد سقوط الفاطميين إلى منطقة نفوذ صلاح الدين الأيوبي، وقد جرت سياسة الولاة والخلفاء على إبقاء هذا الميقات متهدماً طيلة قرون مديدة، كي لا تكون حادثة توقف الرسول ﷺ في مكان باسم (غدير خم) إخراجاً لقوم وتقويةً لآخرين! إن سقوط الفاطميين سنة (٥٦٧هـ) بيد صلاح الدين الأيوبي، وتسبب الأيوبيين السلطة في مصر (٥٦٤-٦٤٨هـ) الذي صار سبباً لازدهار ميناء جدّة، وجعل الجحفة في مسير الانهدام ومعرضه، جعلهم يفرحون أنهم استطاعوا - عوضاً عن الفهم الصحيح للتأريخ - أن يحدفوا التأريخ!

والآن وقد جدد بناء مسجد الميقات، وتوفرت الإمكانيات اللازمة للذين يريدون أن ينسلوا من ملذاتهم ويحرروا أنفسهم في هذا الميقات ليضعوها أمام الله، فإنّ الفرصة سانحة لإحياء تاريخ أهمّ مكان على مسير عودة الرسول من حجة الوداع، بإحياء مسجد الغدير في جهة شمال شرقي البناء التاريخي، وبنفس الاعتبار التاريخي والشرعي، وهمّة الذين جددوا بناء مسجد الميقات، وبناء مسجد بدر في بدر، وبناء مسجد العقبة في منى، ومسجد عمر ومسجد عليؑ في المدينة^(١).

ومثل هذا الإلغاء للمكان كان إلغاء مكان مرقد الإمام عليؑ في النجف، إمعاناً في تغييب فضائل ومناقب الإمام عليؑ، وأول من أثار تلك الشبهة هو الخطيب البغدادي، قائلاً: «حكى لنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا بكر الطلحي يذكر أنّ أبا جعفر الحضرمي - مطيناً - كان ينكر أن يكون القبر المزور بظاهر الكوفة قبر علي بن أبي طالب عليؑ. وكان يقول: لو علمت الرافضة قبر من هذا لرجمته بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة. وقال مطين: لو كان هذا قبر علي بن أبي طالب؛

(١) أنظر: السمهودي، علي بن عبد الله، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: ص ١٢٠٤. الحربي، إبراهيم بن إسحاق، المناسك وأماكن طرق الحجّ ومعالم الجزيرة: ص ٤٥٨. رفعت باشا، إبراهيم، مرآة



لجعلت منزلي ومقبلي عنده أبداً»^(١). وتابعه على ذلك بعض المؤرّخين من العامة منهم: ابن عساكر وابن خلكان والذهبي وابن كثير^(٢)، وقد أبطل هذه الشبهة كثير من العلماء من الشيعة وغيرهم، فقد كتب السيد عبد الكريم بن طاووس رسالة في ذلك سماها (فرحة الغري في تعيين قبر الإمام علي عليه السلام)، وكذلك ردّ على هذه الشبهة ابن أبي الحديد في شرح النهج^(٣).

إنّ جرأه هؤلاء المؤرّخين والمحدّثين، بلغت إلى هذا المقدار وهو إلغاء أماكن بهذه الشهرة، تدعوننا إلى التأمّل في الكثير من المدوّنات التاريخية ودراساتها دراسة متفحّص لئلا تخفى علينا حقائق التاريخ واستحقاقات أفراده.

الأسلوب الثاني: تغييب الشهود

ولم ينته الأمر إلى هذا المقدار فقط، بل حاول بعض المؤرّخين إلغاء تجمّع جماهيريّ هائل ربما لم يشهد تاريخ الجزيرة العربية مثله؛ إذ إنّ عدد حضور الغدير يبلغ عند ابن الجوزي: مائة وعشرين ألفاً^(٤)، وعند الطبرسي: سبعين ألفاً^(٥)، وقد صرح الإمام الصادق عليه السلام بأنّه بالرغم من وجود هذا العدد الهائل من المسلمين، لم يستطع الإمام

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد: ج ١، ص ١٤٨.

(٢) أنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢، ص ٥٦٧. ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ج ٤، ص ٥٥. الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج ٣، ص ٦٥١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٧، ص ٣٦٥.

(٣) أنظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٦، ص ١٣٣. الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ٥، ص ١٣. الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٩.

(٤) أنظر: ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٠. عنه البحراي، عبد الله، العوالم (قسم حديث الغدير): ص ١٦٨.

(٥) أنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ١، ص ٢٠١، ح ٨٦. الخلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، كشف اليقين: ص ١١٣. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، إثبات الهداة: ج ٣، ص ٢، ح ٥٩٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٧، ص ٢٠١.

أمير المؤمنين عليه السلام أن يأخذ حقه ظاهراً، فقد قال عليه السلام لعمر و بن يزيد: «العجب يا أبا حفص! لما لقي علي بن أبي طالب، أنه كان له عشرة آلاف شاهد لم يقدر على أخذ حقه، والرجل يأخذ حقه بشاهدين، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة حاجاً ومعه خمسة آلاف، ورجع من مكة وقد شيعه خمسة آلاف من أهل مكة، فلما انتهى إلى الجحفة نزل جبرئيل بولاية علي عليه السلام»^(١)، وقد ذكر ابن أبي الحديد أن الحضور كانوا مائة ألف^(٢).
 إن وجود حشد جماهيري بهذا العدد الهائل لم يكن ذريعة كافية للبخاري - مثلاً - أو غيره لثبوت صحة هذه الحادثة وما جرى فيها، فكيف بغيره من المؤرخين والمحدثين؟! فلم أر مثله حقاً أضيعاً^(٣).

الأسلوب الثالث: تغييب المعنى

وهناك طائفة أخرى أكثر تضييعاً للحقائق من سابقتها في تغييب الفضائل، هذه الطائفة لما ثبتت عندها الواقعة زماناً ومكاناً تصرّفت في المتن بحثاً عن شبهة تصرّف

(١) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٣٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٧، ص ١٤٠.

(٢) كما نُقل ذلك في كشف المهم، أنظر: البحراني، هاشم، كشف المهم عن طريق خبر غدیر خم: ص ٥٠.
 (٣) قال محمد طاهر القمي الشيرازي في كتاب الأربعين: «وروي أن ابن الكميّ رأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: أنشدني قصيدة كانت لأبيك؛ يعني القصيدة المشتملة على حكاية الغدير، قال: فأنشدته إياها، فلما وصلتُ إلى (ولم أر مثله حقاً أضيعاً) بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءً شديداً، قال: صدق أبوك، ولم أر مثله حقاً أضيعاً، ثم انتبه». القمي الشيرازي، محمد طاهر، كتاب الأربعين: ص ١٢٣. وروى الكراجكي في كنز الفوائد بإسناده، عن هناد بن السرى المتوفى سنة (٢٤٣هـ)، قال: «رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام فقال لي: يا هناد، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: أنشدني قول الكميّ: ويوم الدوح دوح غدیر خم.. قال: فأنشدته، فقال لي: خذ إليك يا هناد. فقلت: هات يا سيدي، فقال عليه السلام:

ولم أر مثل ذلك اليوم يوماً

ولم أر مثله حقاً أضيعاً

الكراجكي، محمد بن علي، كنز الفوائد: ص ١٥٤.



المعنى المراد منه إلى غير مقصود الشارع ومراده، وهؤلاء هم الذين وقفوا عند لفظ (المولى) في حديث الغدير، وراحوا يصرّفونه إلى معانيه اللغوية الأخرى، وهي بالطبع غير مرادة للنبي ﷺ في ذلك اليوم. نعم، إنّ لكلمة مولى عدّة معانٍ لغوية، فقد قال ابن الأثير: «وقد تكرر ذكر المولى في الحديث، وهو اسمٌ يقع على جماعةٍ كثيرة، فهو: الرّبُّ، والمالكُ، والسّيّد، والمنعم، والمعتقُ، والنّاصر، والمحبّ، والتّابع، والجارُّ، وابنُ العمّ، والحليفُ، والعقيد، والصّهر، والعبد، والمعتقُ، والمنعمُ عليه»^(١).

وقد حاول الكثير من المحدثين صرف هذا المعنى عن الولاية والخلافة، فهذا الفخر الرازي في تفسيره لما وصل إلى قوله ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، قال: «وفي لفظ المولى ههنا أقوال: أحدها قال ابن عباس: ﴿مَوْلَانَكُمْ﴾ أي مصيركم، وتحقيقه أنّ المولى موضع الولي، وهو القرب، قال تعالى: ﴿النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾»^(٢)؛ فالمعنى أنّ النار هي موضعكم الذي تقرّبون منه وتصلّون إليه. والثاني: قال الكلبي: يعني أوّلَى بكم، وهو قول الزجاج والقرّاء وأبي عبيدة، وزعم أنّ ما قالته الشيعة ليس تفسيراً، وإنّما معنى، قال: واعلم أنّ هذا الذي قاله معنى، وليس بتفسير للفظ، لأنّ لو كان مولى وأوّلَى بمعنى واحد في اللّغة؛ لصحّ استعمال كلّ واحد منهما في مكان الآخر، فكان يجب أن يصحّ أن يُقال: هذا مولى من فلان كما يقال: هذا أوّلَى من فلان، ويصحّ أن يقال: هذا أوّلَى فلان كما يقال: هذا مولى فلان، ولما بطل ذلك؛ علمنا أنّ الذي قالوه معنى وليس بتفسير، وإنّما نبّهنا على هذه الدقّيقة لأنّ الشريف المرتضى لما تمسّك بإمامة عليٍّ، بقوله: (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ) قال: أحد معاني مولى أنّه أوّلَى، واحتجّ في ذلك بأقوال أئمّة اللّغة في تفسير هذه الآية، بأنّ مولى معناه: أوّلَى، وإذا ثبت أنّ اللفظ محتتمل له وجب حمّله عليه؛ لأنّ ما عداه إمّا بين الثبوت،

(١) ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٥، ص٢٢٨.

(٢) الحديد: آية١٥.

ككونه ابن العمّ والناصر، أو بين الانتفاء، كالمعتق والمعتق، فيكون على التقدير الأول عبثاً، وعلى التقدير الثاني كذباً، وأما نحن فقد بينا بالدليل أن قول هؤلاء في هذا الموضوع معنى لا تفسير، وحينئذٍ يسقط الاستدلال به. وفي الآية وجه آخر: وهو أن معنى قوله: ﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ أي: لا مولى لكم؛ وذلك لأنّ من كانت النار مولاه فلا مولى له، كما يقال: ناصره الخذلان ومعينه البكاء؛ أي: لا ناصر له ولا معين، وهذا الوجه متأكد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلٰى لَهُمْ﴾^(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعَاثُوا يَمَآءَ كَالْمُهَلِّ﴾^(٢) (٣).

لكن المعنى للحديث منحصر بالأولى الذي هو المتقدم غير مقيّد بشيء من الأشياء وحال من الأحوال، قال أبو الصلاح الحلبي: «وأما إفادة الأولى للإمامة فظاهر، لأنّ حقيقة الأولى: الأملك بالتصرّف، الأحقّ بالتدبير، يقولون: فلان أولى بالدم وبالمراة وباليتيم وبالأمر؛ بمعنى الأحقّ الأملك، فإذا حصل هذا المعنى بين شخص وجماعة اقتضى كونه مفترض الطاعة عليهم من حيث كان أولى بهم من أنفسهم في تقديم مراداته وإن كرها»^(٤).

وقال الشيخ الأميني في الغدير، بعد البحث في صحّة خبر الغدير: «وأما دلالته على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فإنّا مهما شككنا في شيء فلا نشكّ في أنّ لفظة (المولى) سواء كانت نصّاً في المعنى الذي نحاوله بالوضع اللغوي، أو مجمّلة في مفادها لاشتراكها بين معانٍ جمّة، وسواء كانت عربيّة عن القرائن لإثبات ما ندعيه من معنى

(١) محمد: آية ١١.

(٢) الكهف: آية ٢٩.

(٣) أنظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر، تفسير الرازي: ج ٢٩، ص ٢٢٧.

(٤) الحلبي، أبو الصلاح، تقريب المعارف: ص ٢١٦. وأنظر: الفيروز آبادي، مرتضى الحسيني، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج ١، ص ٣٩٠-٣٩٤. الموسوي، عبد الحسين شرف الدين، المراجعات: ص ٢٥٩، المراجعة ٥٤.



الإمامة أو محتفة بها، فإنها في المقام لا تدلّ إلا على ذلك؛ لفهم من وعاه من الحضور في ذلك المحتشد العظيم، ومن بلغه النبأ بعد حين ممن يُحتجّ بقوله في اللغة من غير تكبير بينهم، وتتابع هذا الفهم فيمن بعدهم من الشعراء ورجالات الأدب حتى عصرنا الحاضر، وذلك حجة قاطعة في المعنى المراد^(١).

ولهذه الأسباب ولعلم الأئمة عليهم السلام بأن البعض سوف يتلاعب بالمعنى المراد من المولى أو بالحديث عموماً، راحوا يبيّنون لشيعتهم المعنى والمراد بأجلى عبارة لا تحمل التأويل، فعن سهل بن قاسم النوشجاني، قال: قال رجل للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله! إنّه يروى عن عروة بن الزبير أنّه قال: توفي النبي صلى الله عليه وآله وهو في تقية، فقال: «أما بعد قول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الرّسولُ بَلِغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فإنّه أزال كلّ تقية بضمان الله عز وجل له، ويبيّن أمر الله تعالى، ولكن قريشاً فعلت ما اشتهدت بعده، وأما قبل نزول هذه الآية فلعله^(٢).

فمن الواضح أنّ قول الإمام: «أزال كلّ تقية»، لا يُراد به المعاني الأخرى التي أراد لها من فسرها به.

وعن إبراهيم بن رجاء الشيباني قال: قيل لجعفر بن محمد عليه السلام: ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله لعليّ عليه السلام يوم الغدير: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». قال: فاستوى جعفر بن محمد عليه السلام قاعداً، ثمّ قال: «سئل - والله - عنها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: الله مولاي أولى بي من نفسي لا أمر لي معه، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم لا أمر لهم معي، ومن كنت مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معي، فعليّ بن أبي طالب مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معه^(٣).

(١) الأميني، عبد الحسين، الغدير، ج ١، ص ٣٤٠.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ص ٢٧١.

(٣) الطبري، محمد بن أبي القاسم، بشارة المصطفى: ص ٩٢.

وعن الحسن بن طريف، قال: كتبتُ إلى أبي محمد عليه السلام أسأله ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليه السلام: «مَنْ كنت مولاه فهذا مولاه»، قال: «أراد بذلك أن جعله علماً يُعرَف به حزب الله عند الفرقة»^(١).

أمَّا أبان بن تغلب، فقد قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ كنت مولاه». فقال: «يا أبا سعيد! تسأل عن مثل هذا؟! أعلمهم أنه يقوم فيهم مقامه»^(٢).

يتَّضح ممَّا تقدَّم أنَّ معنى (المولى) في حديث الغدير قد تعرَّض إلى أخطر هجمة تغييب وتهميش؛ وذلك بصرف المراد الحقيقي منه الذي نطق به النبي صلى الله عليه وآله إلى ما سواه.

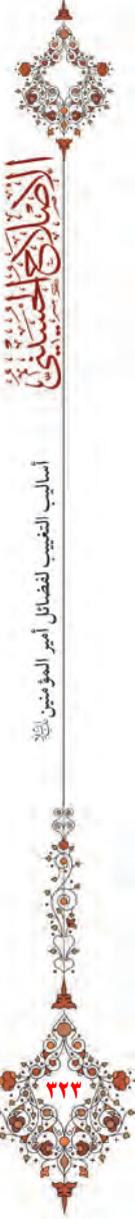
الأسلوب الرابع: قلب الفضائل إلى مثالب

ومن وسائلهم في طمس الفضائل والمناقب، قلب الفضائل من الأوصاف السامية المباركة الموضوعة لها إلى مثالب ومطاعن، فمن ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وآله حين احتفى بتنصيب أمير المؤمنين يوم الغدير خليفة للمسلمين عقد اجتماعاً للاحتفال بهذه المناسبة في الجحفة، فنصب خيمة للاجتماع ومبايعة أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت له صلى الله عليه وآله عمامة اسمها (السحاب)، فعمَّ بها أمير المؤمنين عليه السلام، وأمرهم بالدخول عليه في تلك الخيمة، ومصافحته ومبايعته، فدخل الصحابة واحداً بعد الآخر، حتى أنَّ عمر بن الخطاب قال كلمته المشهورة: «بِخٍ بَخٍ لَكَ يَا عَلِيُّ، أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ»^(٣).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٧، ص ٢٢٣.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص ٦٦.

(٣) ابن المغازلي، علي بن محمد، مناقب علي بن أبي طالب: ص ٣٧. ابن البطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار: ص ١٠٦. الثقفى، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج ٢، ص ٥٨٣. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٢٣٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢١، ص ٣٨٨. الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ١، ص ٢٧٦.



فكان أمير المؤمنين بعد ذلك إذا حضر متعمماً بتلك العمامة يقول النبي ﷺ: «أناكم عليٌّ في السحاب»^(١). وهذا هو المعنى الصحيح لما يُنسب إلى الشيعة من قولهم: (جاء عليٌّ في السحاب)، والمفهوم لدى عامة المسلمين، ولا يرتاب فيه أحدٌ لوضوحه، إلا أنه لم يرق لبعض المحدثين والمؤرخين بقاء تلك الفضيلة الدالة على الغدير، والمذكورة به، فعمد إلى تشويهها إمعاناً في إبطائها وتغيب حقيقتها.

فقال الملطي في التنبيه والردّ: «قولهم (يعني: الروافض): (عليٌّ في السحاب)، فإنما ذلك قول النبي ﷺ لعليٍّ حين أقبل وهو متعمّم بعمامة النبي ﷺ كانت تُدعى السحاب، فتأوله هؤلاء على غير تأويله»^(٢).

وقد نسب عبد الكريم الشهرستاني في (الملل والنحل) إلى فرقة من فرق الشيعة وهم السبائية قولهم: «وهو الذي (يعني عليّاً ﷺ) يجيء في السحاب، والرعد صوته، والبرق تبسّمه»^(٣)، فأنظر كيف أوّل الحديث افتراءً علينا!

والحقيقة إن هذا المعنى لم يتأوله أحدٌ منهم قط - من أوّل يومهم - على غير تأويله، كما ذكر الملطي، وإنّما أوّله الناس افتراءً عليهم^(٤)، ولت الملطي دلنا على فرقة قالت بذلك! وإنّما هم أفراد شذاذ تجد أمثالهم في كلّ ملّة ودين، فتعميم القول بذلك لكلّ الشيعة، ونزهم بالروافض وراءه ما وراءه!

وقد جاء كلام الملطي في سياق حديثه عن فرّق الرافضة - حسب تعبيره - وقسم فرّقهم إلى ثماني عشرة فرقة، ومن تلك الفرّق فرقة السبئية، ثمّ قسم السبئية إلى فرّق، ونسب إليهم عدّة معتقدات. فإذا كان قصده أن هؤلاء هم الشيعة فقد نسب إليهم

(١) الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية: ج ٣، ص ٤٥٢. السيوطي، جلال الدين، الحاوي للفتاوي: ج ١، ص ٢٧٣. الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ١، ص ٢٩١.
 (٢) الملطي، محمد بن أحمد، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: ص ١٩ - ٢٠.
 (٣) الشهرستاني، عبد الكريم، الملل والنحل: ج ١، ص ١٥٢.
 (٤) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ١، ص ٢٩٣.

كثير من الأمور ظليماً وجهلاً، فالشيعة لا تقول بأن الإمام علياً عليه السلام لم يمت، ولم تقل بإمامة محمد بن علي الذي لا زال يحرسه الأسد في غار!!

الأسلوب الخامس : التغييب بالسكوت عن الحادثة وإهمال ذكرها

ومن الوسائل الأخرى لبعضهم - ولعلهم أكثر إنصافاً على الظاهر من غيرهم - هي السكوت وإهمال الحوادث الدالة على فضل أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، حيث نجد الكثير من المؤرخين - رغم شهرة واقعة الغدير وتوقف النبي صلى الله عليه وآله بالبحفة وخطبته هناك - لا يتعرّض لهذه الحادثة فراراً من الإقرار بتلك الفضيلة أو نفيها، فكأنها هو محتاط لنفسه! إلا أنه احتياط في غير محله، وهذا يشمل كل تفاصيل الحادثة^(١).

ومن عجائب الصحيحين (البخاري ومسلم) أنّهما أهملوا ذكر حادثة الغدير كأكبر مصداق لما تمثله هذه الحالة. وهذا يكشف عن نزعة تطرّف عجيبة. وقد أورد ما يدلّ على ذلك صاحب كتاب أضواء على الصحيحين، حيث ذكر: «مما يدلّ على عدم الوثوق بالصحيحين، وعدم اعتبار صحّة جميع ما ورد فيها، هو التطرّف الطائفي المفرط والتعصّب الشديد لدى مؤلفيها وتعنتها تجاه الحق، وكان هذا التطرّف قد اعترى البخاري أشدّ وأكثر من مسلم... وأما الشواهد على ذلك: ... إنك ترى في البخاري ومسلم وصححيهما هذه العصبية المفرطة عندما تقرّأ كتابيها،

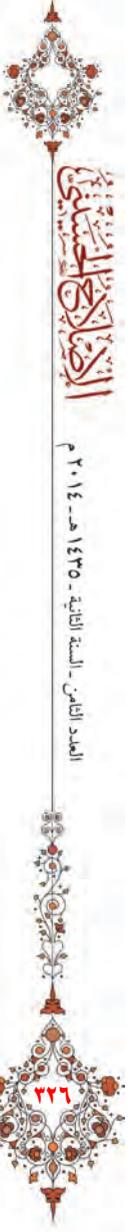
(١) ويُسبّه هذا الإهمال أو يزيد عليه إهمال الدكتور أحمد زكي صفوت خطبة الغدير في كتابه جمهرة خطب العرب، وقد أثبتتها المصادر الموثوقة بأسانيد، وكذلك فعل في خطبة الزهراء الفدكية، رغم ورودها في مصادر أدبية عربية مهمّة مثل: الجوهرى، أحمد عبد العزيز، السقيفة وفدك: ص ٩٩. ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة: ج ١٦، ص ٢١١. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٢، ص ٣٠٤. عبد الرحمن بن عيسى، الألفاظ الكتابية: ص ٢١. البغدادي، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص ١٦.

وتلاحظ أتهما لما يواجهان فضيلة مشهورة ومنقبة مهمّة من مناقب أمير المؤمنين علي عليه السلام وفيها دلالة صريحة على أفضليته لأمر الخلافة، وتقدّمه على الآخرين، فإنّهما يبادران إلى تعظيمها.

وهذه المناقب والفضائل قد ورد ذكرها في سائر الصحاح السنّة والمدارك المعتمدة لدى أهل السنّة، وهي من يقينيّات الحوادث التاريخية ومسلّماتها، وهي ممّا أجمع عليه علماء السنّة والشيعّة، مثل: حديث الغدير، آية التطهير، حديث الطائر المشوي، حديث سدّ الأبواب، وحديث أنا مدينة العلم وعليّ بابها. وقد روى كلّ واحد من هذه الفضائل والمناقب عشرات الصحابة وأثبتها علماء أهل السنّة في كتبهم المعتمدة، إلّا أنّ البخاري الذي لم يرض أن ينقل هذه المناقب المسلّمة واليقينيّة ويخصّص لها باباً خاصّاً في صحيحه فحسب، بل أفرد باباً خاصّاً في فضائل معاوية، وحيث إنّه لم يعثر على منقبة لمعاوية رُويت على لسان رسول الله ﷺ حقّاً، يروي حديثين عن حبر الأُمّة ابن عباس جاء في أولهما أنّه مدح معاوية لصحبته لرسول الله ﷺ، وجاء في ثانيهما مدح معاوية بكونه فقيهاً وعالمًا. والعجب كلّ العجب ممّن يريد أن يصنّف كتاباً جامعاً يلمّ فيه بما ورد من أحاديث رسول الله ﷺ، ويكتب تفسيراً للقرآن، ويؤلّف كتاباً في التاريخ، ولا يدع مدحاً وثناءً من صحابي بحقّ صحابي آخر (معاوية) إلّا وأورده فيها، وذلك أداء للأمانة! كيف تسمح له نفسه بالإغماض عن واقعة ذات أهميّة تاريخية، كحديث الغدير أو حديث (أنا مدينة العلم وعليّ بابها)؟! ولا يخفى أنّه ليس لهذا التغاضي والتجاهل من قبل البخاري سبب إلّا التعظيم على مناقب أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وإخفاء الحقائق الواقعية^(١).

وحديث الغدير ممّا استدركه الحاكم على الصحيحين بعد أن أورده عن زيد

(١) النجمي، محمد صادق، أضواء على الصحيحين: ص ١٠٧.



بن أرقم، يقول الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد أخرجه الحافظ الذهبي في تلخيصه على المستدرک^(١).

وقد كان أبو حنيفة ممن يدعو أصحابه إلى عدم الإقرار بهذا الحديث، فقد ذكر محمد بن نوفل: «كنتُ عند الهيثم بن حبيب الصيرفي فدخل علينا أبو حنيفة النعمان بن ثابت، فذكرنا أمير المؤمنين عليه السلام ودار بيننا كلام منه، فقال أبو حنيفة: قد قلتُ لأصحابنا: لا تقرّوا بحديث غدیر خم فيخصموكم. فتمعّر وجه الهيثم بن حبيب الصيرفي، وقال له: لم لا يقرّون به؟! أما هو عندك يا نعمان؟! قال: هو عندي وقد رويته. قال: فلم لا يقرّون به وقد حدّثنا به حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم: أن علياً عليه السلام نشد الله في الرحبة من سمعه؟ فقال أبو حنيفة: ألا ترون أنه قد جرى في ذلك خوض حتى نشد عليّ الناس لذلك؟ فقال الهيثم: فنحن نكذب علياً أو نردّ قوله؟ فقال أبو حنيفة: ما نكذب علياً ولا نردّ قولاً قاله، ولكنك تعلم أن الناس قد غلا فيهم قوم. فقال الهيثم: يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويخطب به، ونشفق نحن منه ونتقيه لغلو غالٍ أو قول قائل! ثم جاء من قطع الكلام بمسائل سأل عنها»^(٢).

الأسلوب السادس: التغيب بالتشكيك بصحة الفضائل

وهذا القسم كثير الورود، ولم يسلم منه حديث في الفضائل إلا نزر قليل، فتجد الإثارة والتشويش على صحة الخبر مذهب الكثير من المحدثين، حتى بلغ الحال أن يناقض بعضهم الآخر في ذلك. قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: «وأما قوله: (من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه) إلخ، فهذا ليس في شيء من الأثمات، إلا في الترمذي وليس فيه إلا: (من كنت مولاه فعليّ مولاه). وأما الزيادة فليست في

(١) أنظر: الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين: ج ٣، ص ١٠٩.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، أمالي المفيد: ص ٢٦-٢٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٤٠١.



الحديث»^(١). وقال أيضاً: «وأما (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ) فلا يصحَّ من طريق الثقات أصلاً»^(٢).

وقد ردَّ عليه الألباني مفنداً رأيه هذا، قائلاً: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ. صحيح طُرُقُهُ، وشواهد كثيرة. وأوَّها عن أبي الطفيل عنه قال: لما دفع النبي (صلى الله عليه وسلم) من حجة الوداع ونزل غدِير خم أمر بدوحات فقمين، ثمَّ قال: كَأَنِّي دُعِيتُ فَأُجِبتُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فَيُكْمُ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَأَنَا وَلِيُّ كُلِّ مَوْءَمِنٍ. ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ (رضي الله عنه) فقال: مَنْ كُنْتُ وَلِيًّا فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ. صحيح»^(٣).

وقال الألباني بعد ذكره لمصادر الحديث: «فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحته أنني رأيت شيخ الإسلام بن تيمية، قد ضعَّف الشرط الأول من الحديث، وأما الشرط الآخر، فزعم أنه كذب! وهذا من مبالغته الناتجة في تقديري من تسرُّعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طُرُقَهَا ويدقِّق النظر فيها»^(٤).

الأسلوب السابع: التغييب بنفي الكتب عن أصحابها أو تحريف طبعتها

ومن وجوه الالتفاف على الفضائل التي ثبتت لأمر المؤمنين عليه السلام وأهل بيته - وما يقابلها من ظلمات وقعت عليهم من الأمة - هو الإلغاء أو التشكيك في نسبة الكتب

(١) ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى: ج٤، ص٤١٧.

(٢) ابن تيمية، أحمد، منهاج السنَّة النبوية: ج٧، ص٢٢٨.

(٣) الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج٤، ص٣٣٠، رقم ١٧٥٠.

(٤) المصدر السابق.



والنصوص التي ترد فيها تلك الفضائل أو الظلمات إلى أصحابها، أو تغيير النصوص في طبعات لاحقة للكتب. سواء من قِبَل الجهات الطابِعة أم من نفس المؤلفين أو المحققين.

ومن ذلك ما تعرَّض له كتاب (سرّ العالمين وكشف ما في الدارين) للغزالي^(١)، حيث قال فيه: «لكن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث عن خطبته في يوم غدِير خم باتِّفاق الجميع وهو يقول: مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه. فقال عمر: بخ بخ لك يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة - فهذا تسليم ورضاً وتحكيم - ثمَّ بعد هذا غلب الهوى لحبِّ الرياسة، وحمل عمود الخلافة وعقود البنود، وخفقان الهوى في قعقة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار، سقاهاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأوَّل فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، فبئس ما يشترون»^(٢).

وكان أحمد أمين أوَّل المشكِّكين في ذلك، قال يصف الشيعة: «بل وضعوا الكتب

(١) لا يفوتنا أن نذكر هنا ما حصل لكتابين مهمَّين من التشكيك في صحَّة نسبتها، وهما: كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، وذلك لما ورد فيه ذكر تفصيلي لحادثة إحراق باب دار الزهراء عليها السلام، وقد طُبع هذا الكتاب عدَّة طبعات في كلِّ من مصر وبيروت، ومنه نسخ خطية في مكاتب لندن وباريس، وبادار الكتب المصرية منه نسخة مخطوطة كُتبت سنة ١٢٩٧ هـ. وكان أول مَنْ تزعم التشكيك بنسبته إلى ابن قتيبة المستشرق غانغوس المجريطي، ثمَّ تبعه الدكتور دوزي في صدر كتابه تاريخ الأندلس وآدابه، والسيد أحمد صقر في مقدمته لكتاب تأويل مشكل القرآن المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٧٣ هـ، حيث يقول: «وقد نُسب إلى ابن قتيبة كتاب مشهور شهرة بطلان نسبته إليه، وهو كتاب الإمامة والسياسة». الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (تحقيق عليّ الشيري): ج ١، ص ٨.

والكتاب الآخر هو نهج البلاغة الذي شكَّك فيه جماعة من المحدثين والمؤرِّخين من أن الشريف الرضي وضعه، وأنه ليس من كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) الغزالي، محمد بن محمد، مجموعة رسائل الإمام الغزالي - رسالة سرّ العالمين -: ص ١٠ - ١١، المجموعة السادسة. الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ١، ص ٣٩٢. الخليلي، علي، أبو بكر بن أبي قحافة: ص ٣٢٨. عاشور، عليّ، النص على أمير المؤمنين عليه السلام: ص ١٧.



وحشوها بتعاليمهم ونسبوا لأئمة أهل السنة، ككتاب سرّ العارفين الذي نسبوه للغزالي^(١).

ولنعم ما أجابه به السيد الأمين العاملي، قائلاً: «الكتاب المنسوب إلى الغزالي اسمه سرّ العالمين لا سرّ العارفين، فمن عدم معرفته باسمه يُعرف مبلغ تثبته في الأمر، ومن أين عرف أنّ كتاب سرّ العالمين ليس للغزالي، وأنهم حشوه بتعاليمهم ونسبوه إليه. فهل شافه الغزالي وأخبره أنّ الكتاب ليس له، أو نزل عليه وحي بذلك؟! ما هذا إلا تحرّص وسوء ظنّ نهي الله عنه، وتهجّم على القدرح بغير مسوغ. والشيعه ليست بحاجة إلى أن تنتصر بالغزالي فتضع كتاباً على لسانه، فلديها من الحجج والبراهين ما فيه كفاية، واحتجاجها بكتاب الله وكُتُب خصومها المشهورة يغنيها عن الاحتجاج بكتاب مجهول يُنسب للغزالي. على أنّ الحافظ ابن حجر في لسان الميزان جزم بأنّه للغزالي فقال^(٢): قال أبو حامد الغزالي في كتاب سرّ العالمين^(٣).

وتبع أحمد أمين في هذا التشكيك الدكتور عبد الرحمن بدوي^(٤) في صحّة نسبة هذا الكتاب للغزالي، مع ما يوجد في الكتاب من براهين كثيرة على صحّة نسبة الكتاب للغزالي، لم يقف عندها بدوي، بل قطع بالنسبة مكتفياً بذلك عن النظر والتأمل، وكم لبدوي من هنات وهنات، أليس هو من نفى نسبة كتاب نهج البلاغة لأمر المؤمنين^(٥)؟! أفيؤتمن مثل هؤلاء على الدين وتاريخ الأمة؟! ومن ذلك ما وقع من التحريف في (جمهرة) ابن دريد، محمد بن الحسن (المتوفّى

(١) أحمد أمين، فجر الإسلام: ص ٣٣٨.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج ٢، ص ٢١٥.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٥٥.

(٤) أنظر: بدوي، عبد الرحمن، مؤلفات الغزالي: ص ٢٧١.

(٥) أنظر: بدوي، عبد الرحمن، أفلاطون: ص ١٩٥.



٣٢١هـ): (ج ١، ص ٧١) قال فيه: «غدير خم معروف، وهو الموضع الذي قام فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خطيباً بفضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كذا في (المطبوع من الجمهرة)، وقد حكى عنه ابن شهر آشوب وغيره في العصور المتقدمة من النسخ المخطوطة ما نصّه: (هو الموضع الذي نص النبي صلى الله عليه وسلم فيه على عليّ عليه السلام)، وقد حرّفته يد الطبع»^(١).

إنّ محقّقي الدواوين والجهات التي تتولّى طباعة الكتب التراثية من هذا الصنف الذي دأب على تغييب فضائل أهل البيت عليه السلام، فقد كان لهؤلاء المحقّقين الدور المميّز في تحريف الحقيقة وطمس الآثار النبويّة.

قال الشيخ الأميني، عند ترجمة حسان بن ثابت، متعرّضاً لتحريف الدواوين بعد الطباعة: «إنّ لحسان في مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مديح جمّة غير ما سبقت الإشارة إليه، إلّا أنّ يد الأمانة لم تقبض عليها يوم مُدّت إلى ديوانه، فحرّفت الكلم عن مواضعها، ولعبت بديوان حسان، كما لعبت بغيره من الدواوين والكتب والمعاجم التي أسقطت منها مديح أهل البيت عليه السلام وفضائلهم، والذكرات الحميدة لأتباعهم، كديوان الفرزدق الذي أسقطوا منها ميميته المشهورة في مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام مع إشارة الناشر إليها في مقدمة شرح ديوانه»^(٢)، وقد طفحت بذكرها الكتب والمعاجم،

(١) إلّا أنّنا نجد في المقابل من جنّد نفسه لكتابة هذه الفضائل وتدوينها، لكن مع ذلك فُقدت تلك الكتب مع ما فُقد من تراث الأئمة العلمي، حكى العلامة علي بن موسى، وعلي بن محمد أبو المعالي الجويني الملقّب بإمام الحرمين أستاذ أبي حامد الغزالي أنّه كان يتعجّب ويقول: رأيتُ مجلداً في بغداد في يد صحّاف فيه روايات خبر (غدير خم) مكتوباً عليه: المجلد الثامنة والعشرون من طرق قوله (صلى الله عليه وسلم): (من كنت مولاه فعلي مولاه) ويتلوه المجلد التاسعة والعشرون». أنظر: القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة (ط إسلامبول عام ١٣٠٢هـ): ص ٣٦.

(٢) قال الصفدي في ترجمة الأدلم المري: «داود بن سلم الأدلم مولى بني تيم بن مرّة، شاعر من أهل المدينة قدم على حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية ومدحه، وله مدائح مستحسنة مستفيضة، له في قثم بن العباس فيها ذكره الزبير بن بكار:

وكديوان كُميت، فإنه حُرِّفَ منه أبيات كما زيدت عليه أخرى، وكديوان أمير الشعراء أبي فراس، وكديوان كشاجم الذي زحزحوا عنه كمية مهمة من مرثي سيدنا الإمام السبط الشهيد سلام الله عليه...»^(١).

وكديوان المتنبي - على ما قيل - فيه القصائد العلويات بمدح أمير المؤمنين، أسقطت من الديوان على مرّ العصور، فلم نعثر لكبير شعراء العربية الكوفي المولد العلوي المذهب، إلا على بيتين أو ثلاثة، وهو في غاية الغرابة، نعم يُعدّ المتنبي ممن ذكر الغدير في شعره، فقد نسب إليه صاحب بغية الطلب قوله:

إني سألتك بالذي	زان الإمامة بالوصي
وأبان في يوم الغدير	لكلّ جبار غوي
فضل الإمام عليهم	بولاية الربّ العلي
إلا أقصدت لحاجتي	وأعنت عبدك يا علي ^(٢)

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته والبيت يعرفُه والحلُّ والحرمُ)

إلى آخر الأبيات. الصفدي، خليل بن ابيك الوافي بالوفيات: ج ١٣، ص ٢٩٢. وتبعه في ذلك الصاوي جامع ديوان الفرزدق، ففي نفس الديوان في حرف الميم في ج ٢، ص ٨٤٨ نجده يذكر ستة أبيات فقط من القصيدة، ولا أدري ما الذي حداه إلى هذه الخيانة الأدبية؟! أليس هو الذي سبق منه أن نقل عن تاريخ ابن خلكان والأغاني وشرح رسالة ابن زيدون سبب إنشائها؟! إن لم يعتمد هذه الكتب فلم نقل عنها؟! وإن اعتمدها في نقل السبب فلم نقل القصيدة بكاملها عنهم؟! أليست هي جميعها من شعر الفرزدق؟! ألم يعلم وهو (الذي عنى بجمعه الخ)، أن القصيدة مثبتة في ديوان الفرزدق قبل أن يُخلَق؟! فهذا سبط ابن الجوزي ذكر في تذكرة الخواص رواية أبي نعيم في الحلية للقصيدة، ثم عقب ذلك بقوله: قلت: لم يذكر أبو نعيم في الحلية إلا بعض هذه الأبيات والباقي أخذته من ديوان الفرزدق. ولعل الصاوي حاول تجاهل الواقع تقليداً لسلفه هشام حين تجاهل ذلك؟! وظنّ (وظنّه إثم) أنّه بفعله (وفعله جرم) سيخفي الحقيقة.

(١) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ٢، ص ٤١.

(٢) ابن العديم، عمر بن أحمد، بغية الطلب في تاريخ حلب: ج ٢، ص ٦٧٦.



نعم، بلغ التغييب في هذا الباب مرحلة خطيرة، فقد تابع التالون ما أسس الأولون، فهامهم يحرفون الكتب المطبوعة بعد صدور الحقائق لتلك الفضائل في طبعاتها الأولى، وأبرز ما يصادفنا في هذا المقام ما حدث في كتاب محمد حسين هيكل (حياة محمد) حين ذكر حديث الدار والإنذار^(١) في الطبعة الأولى من كتابه بهذا اللفظ: «نزل الوحي: أن أنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك لمن أتبعك من المؤمنين، وقل: إني أنا النذير المبين، فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين، ودعا محمد عشيرته إلى طعام في بيته وحاول أن يحدثهم داعياً إياهم إلى الله، فقطع عمه أبو لهب حديثه، واستنفر القوم ليقوموا، ودعاهم محمد في الغداة كراً أخرى، فلما طعموا قال لهم: ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتمكم به، قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربّي أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرنني هذا الأمر، وأن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأعرضوا عنه وهموا بتركه، لكن علياً نهض وما يزال صبيّاً دون الحلم، وقال: أنا يا رسول الله عونك، أنا حرب على من حاربت. فابتسم بنو هاشم وقهقهه بعضهم وجعل نظرهم يتنقل من أبي طالب إلى ابنه، ثم انصرفوا مستهزئين...»^(٢).

فإنه أسقط من الحديث أولاً ما فرّع به رسول الله ﷺ كلامه من قوله لعلي: «فأنت أخي ووصيي ووارثي».

(١) هذا الحديث قد بلغ حدّ التواتر وقد أخرجه كثير من الحفاظ والعلماء. أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٢، ص ٣١٩ - ٣٢١. ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٦٢، وص ٦٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٣، ص ٢١٠، وص ٢٤٤. الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية: ج ١، ص ٣١١. الحسكاني، عبيد الله بن أحمد، شواهد التنزيل: ج ١، ص ٣١١، ص ٣٧١، ح ٥١٤، وح ٥٨٠. المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، كنز العمال: ج ١٥، ص ١١٥، ح ٣٣٤ وغير ذلك.

(٢) هيكل، محمد حسين، حياة محمد: ص ١٠٤.





ثمَّ نسب إلى أمير المؤمنين ثانياً أنَّه قال: (أنا يا رسول الله عونك، أنا حرب على مَنْ حاربت). ليته دلنا على مصدر هذه النسبة في لفظ أيِّ محدث أو مؤرِّخ من السلف؟! وراقه أن يحكم في الحضور في تلك الحفلة بتبسم بني هاشم وقهقهة بعضهم، ولم نجد لهذا التفصيل مصدراً يعوّل عليه.

ومهما لم يجد (هيكل) وراءه مَنْ يأخذه بمقاله، ولم يرَ هناك مَنْ يناقشه الحساب في تقولاته وتصرفاته، أسقط منه ما يرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام في الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ هـ، ص ١٣٩، ولعل السرّ فيه لفظة منه إلى غاية ابن كثير وأمثاله بعد النشر، أو أنّ اللغظ والصخب حول القول قد كثرا عليه هناك من مناوئي العترة الطاهرة، فأخذته أمواج اللوم والعتب حتى اضطرتّه إلى الحذف والتحريف. أو أنّ العادة المطّردة في جملة من المطابع عاثت في الكتاب فغصّ عنها الطرف صاحبه لاشتراكه معها في المبدأ أو عجزه عن دفعها^(١).

(١) أنظر: هيكل، محمد حسين، حياة محمد: ط١، ص ١٠٤، وط٢، سنة ١٣٥٤ هـ، ص ١٣٩. الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ٢، ص ٢٨٨. هيكل، محمد حسين، جريدة السياسة المصرية (ملحق عدد: ٢٧٥١ بتاريخ ١٢ ذي القعدة ١٣٥٠ هـ): ص ٥، و ص ٦ من (ملحق عدد: ٢٧٨٥)، ذكر الحديث بتمامه. وعين ذلك حدث لهذا الخبر في تفسير الطبري، فقد نقل قائلاً: «فقال عليه السلام: يا بني عبد المطلب!... فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر، على أن يكون أخي وكذا وكذا؟... ثم قال: إنّ هذا أخي وكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا هذا». الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١٩، ص ١١٢، ط ١٣٧٣ هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. وقد ذكر الطبري - أيضاً - هذا الخبر في تاريخه قائلاً: «فقال: يا بني عبد المطلب!... فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟... ثم قال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا». الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٢، ص ٣٢١. (ط. دار المعارف بمصر، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم). ولعل هذا العمل ليس من الطبري، وإنّما حصل من الناسخين للكتاب، فقد عبثوا بالكتب، وإلا فالطبري دفع ثمن روايته حديث غدير خم، فقد قال فيه ابن حجر في لسان الميزان: «ثقة صادق، فيه تشييع يسير، وموالة لا تصرّ، وإنّما نُبِزَ بالتشييع لأنّه صحّح حديث غدير خم». ابن حجر، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج ٥، ص ١٠٠. وحكى الذهبي في التذكرة، عن الفرغاني: «أنّه لما بلغه أنّ ابن أبي داود تكلم في حديث غدير

إن قراءة جديدة لمتون كتب الحديث والتاريخ - ضمن معايير علمية متضمنة هي قراءة لنفسيات المؤلفين والمحدثين مع ملاحظة الوسائل المختلفة التي يتبعها البعض والانتقائية غير العلمية - لا شك أنه سوف ينتج لنا قراءة صحيحة للتاريخ الإسلامي، ورجاله الأفاضل ممن عُيِّب فضائلهم وإنجازاتهم العظيمة؛ لعدم وجود المؤرخين والمحدثين الثقة ممن يتحلَّى بالجرأة والغيرة على الدين.

خم، عمل كتاب الفضائل، وتكلّم على تصحيح الحديث. قلت: رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير، فاندعشت له ولكثرة تلك الطرق». الذهبي، محمد بن أحمد، تذكرة الحفاظ: ج ٢، ص ٢٥١. أنظر: السيوطي، جلال الدين، طبقات المفسرين: ص ٣٠. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج ١١، ص ١٤٥.